مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية

الإعجاز القرآني في مقدمات كتب التفسير

إعداد

د. حمدان بن حميد بن بريك السلمي

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية والمهارات اللغوية، جامعة جدة

• من مواليد عام ١٣٩٠هـ بمدينة ساية بالمملكة العربية السعودية.
• تخرج في الكلية الجامعية بمدينة مكة عام ١٤١٥هـ.
• نال شهادة الماجستير من قسم الكتاب والسنة، بجامعة أم القرى عام ١٤٢٨هـ بأطروحة: "ترجيحات الإمام القرطبي في التفسير من سورة الجاثية إلى سورة ق: دراسة ومقارنة"، كما نال شهادة الدكتوراه من قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الاسلامية عام ١٤٣٣هـ بأطروحة: "تفسير الفرات النمير في تفسير الكتاب المنير للإمام الضمدي: من سورة الأحزاب إلى سورة الناس، دراسة وتحقيق ".
• البريد الشبكي: nab3ha@gmail.com

(قدم للنشر في ١٤٤٤/٣/٦هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٤٤/٤/٩هـ)

الـمـلـخـص

إن علم الإعجاز القرآني من أقدم العلوم حيث بدأ التأليف فيه مع بداية القرن الثالث الهجري.

ومن خلال استقراء مقدمات كتب المفسرين نجد بروز هذا العلم، وكان منهجي في البحث أن قسمته إلى مقدمة ومبحثين، فكان المبحث الأول مقدمات عن إعجاز القرآن وفيها مفهوم الإعجاز ونبذة تاريخية عنه، ووجوه الإعجاز ثم مراحل تدَّرج الإعجاز والتحدي به، وذكرت أن إعجاز القرآن لا يقف عند جمال الأسلوب وروعة البيان وإنما ينتظم فيما ينتظم أموراً كثيرةً، وختمت المبحث بأهمية مقدمات كتب التفاسير والتعريف بها ونشأتها وأوائل من كتب التفسير المتضمنة لإعجاز القرآن.

أما المبحث الثاني فذكرتُ النتائج المُستخلصة من استقراء مقدمات كتب التفسير من حيث محاور وموضوعات إعجاز القرآن والتعليق عليها، وختمت المبحث بموازنة بين موضوعات إعجاز القرآن في مقدمات كتب التفسير.

واعتمدت في طريقة بحثي على الاستقراء والموازنة والتحليل ،فكان من نتائج بحثي أن ممن ألَّف في التفسير من أهتم بذكر الإعجاز القرآني في مقدمات تفاسيرهم وكان من أولهم ابن جرير الطبري، وقد تباينت طرائقهم في تناول الإعجاز من بين مستقلٍ ومستكثر، وتبن لنا أن من أكثر المفسرين تفصيلاً في وجوه إعجاز القرآن الإمام القرطبي وابن عاشور، وقد كُتب في إعجاز القرآن عندهم رسالة ماجستير مستقلة.

وقد أوصى الباحث أن يتم التقعيد لمفهوم إعجاز القرآن ووجوهه بالاعتماد على مقدمات المفسرين لبيان تحديد الإعجاز العلمي في القرآن وأن تُفرد له بحوث علمية لطلاب الماجستير والدكتوراه في الإعجاز في قصص القرآن من خلال حياة الأنبياء.

الكلمات المفتاحية : الإعجاز، القرآن، كتب، مقدمات التفسير.

المقدمـــة

إن الإعجاز القرآني من أكثر القضايا حساسيةً وأشدها دقةً خاصةً وأنها وثيقة الصلة بكتاب الله تعالى، من حيث كونه كتاب هدايةٍ وإعجازٍ معاً، لذلك نالت هذه القضية اهتماماً كبيراً وجهوداً حثيثةً على مر الأزمان والعصور حتى يومنا هذا.

ولقد تناول العلماء الحديث عن أوجه إعجاز القرآن الكريم فأجادوا، وعددوا فأكثروا، وفصلوا فبينوا، وذلك بما يفتح الله عليهم من درر كتابه التي لا منتهى لها فهو نبعٌ فياضٌ ، إنه كنزُ معالمٍ ، وبحرُ حقائقٍ .

ونهرُ جواهرٍ، ودرجُ زواهرٍ، ومعينُ دررٍ، وعالمُ علمٍ، وعذوبةُ لفظٍ، ودقةُ أسلوبٍ، وجمالُ بيانٍ.

كريمٌ بعطائه، لا يبخل على مَن قصده، يفتح بابه لمن طرقه، يجيب كلَّ من سأله، يعطي كلاً بما هو أهله.

ومن خلال النظر في هذا الموضوع، واستقراء مقدمات المفسرين في كتب التفسير.

وبعد التنقيح والدراسة والمشاورة، انتهيت – بعون الله تعالى – إلى أن أكتب بحث بعنوان: الاعجاز القرآني في مقدمات كتب التفسير ".

أسأل الله تعالى أن يشرّفنا بخدمة كتابه الكريم، وأن يمنّ علينا بالإخلاص والسداد، وبالعلم النافع والعمل الصالح.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن الدافع الرئيس للبحث في هذا الموضوع هو الرغبة في نَيل شرف خدمة كتاب الله تعالى، وبركة النظر فيما يحويه هذا السفر العظيم –أعني كتاب الله–ورجاء الثمار اليانعة التي سوف يجنيها كل من يعيش مع إعجازه ، مع شعوري بأهمية الدراسات القرآنية الموضوعية – لا سيما المتعلقة في إعجاز القرآن – مما ينضبط بالمعايير العلمية التي تحافظ على جدية الدراسة وعمق تأثيرها.

وبطبيعة الحال، ومع انطلاقي مما سبق: عملت على أن يكون للموضوع المختار أهميةً تحفّز على بذل الجهد المضاعف والوقت الممتد، رجاء أن تكون الفائدة قيّمة، ينتفع منها الباحث قبل غيره، ثم من يحتاج إليها من إخوانه المسلمين.

وإن أهمية هذا الموضوع يمكن أن تظهر من خلال ما يلي:

١- بروز جهود المفسرين في بيان اعجاز القرآن ووجوه في مقدمات تفاسيرهم.

٢- أن مقدمات التفاسير اشتملت على مادة علمية قيمة ثرية ، احتوت آراء كثير من المفسرين ، في كثير من مسائل إعجاز القرآن ووجوه .

٣- مما تجدر الإشارة إليه ، ويدل على أهمية هذا الموضوع أن المفسرين أشاروا إلى موضوع الاعجاز في مقدمات تفاسيرهم مع بداية القرن الثالث الهجري ، وهذا دلالة على قدم البحث في هذا الموضوع .

الدراسات السابقة حول الموضوع:

بناء على ما قمت به من البحث في أدوات البحث الموضوعي: من فهارس المراكز العلمية، والبحث في شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، وسؤال جملة من الباحثين والمتخصصين، والتواصل مع قاعدة المعلومات بمركز الملك فيصل للدراسات والأبحاث، وقاعدة المعلومات القرآنية التابعة لمعهد الإمام الشاطبي بجدة: تبين أنه لم يسبق وأن تناولت الدراسات العلمية موضوع "الاعجاز القرآني في مقدمات التفاسير" عموماً، فضلاً عن تناوله من خلال الدراسة القرآنية الموضوعية .

خطة البحث:

سوف يحوي البحث بعون الله تعالى على مقدمة ومبحثين وفيها مطالب وخاتمة

وفهارس، كالتالي:

المبحث الأول: مقدمات عن إعجاز القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب .

المطلب الأول: مفهوم الإعجاز.

المطلب الثاني: نبذةٌ تاريخيةٌ عن بدءِ التحدث في الإعجاز.

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: تدرُّج الإعجاز مع مراحل التحدي.

المطلب الخامس: أهمية مقدمات التفاسير والتعريف بها ونشأتها.

المطلب السادس: أهم كتب التفسير المتضمنة لإعجاز القرآن الكريم .

المبحث الثاني: النتائج المستخلصة من استقراء مقدمات كتب التفسير، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: محاور وموضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير.

المطلب الثاني: مقدمات كتب التفسير وما فيها من موضوعات إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثالث: التعليق على الجداول.

المطلب الرابع: الموازنة بين موضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير.

الخاتمة : وتتضمن خلاصة البحث وأبرز نتائجه الكلية والتوصيات.

بين يدي البحث

أهمية علم إعجاز القرآن

فإن علوم القرآن من أشرف العلوم وأجلها، وأعظمها بركة، وأوسعها معرفة، وحاجة الأمة إليها ماسة، وقد شرف اللهُ علماءَ التفسير وأهل العناية بالقرآن ورفع مكانهم وجعلهم مرجعاً لعباده في فهم كلامه ومعرفة مراده وكفى بذلك فضلاً وشرفاً، وعلم طالب العلم بفضل علوم القرآن وعلو شأنها وجلالة قدره مما يعين على إقبال النفس على تعلمه وأخذه بقوة وجد واجتهاد.

ومن جملة علوم القرآن: علم إعجاز القرآن الكريم، فقد اعتنى الأئمة بهذا العلم وأفردوه بالتصنيف قديماً وحديثاً، وهو علم جليل عظيم القدر لأن نبوة النبي ﷺ معجزتها الباقية القرآن، وهو يستلزم الاهتمام بسبر موضوع الإعجاز قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، يقول الباقلاني «فلولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا تكون حجة إلا وهي معجزة»(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٠-٥١] فأخبر أن الكتاب آية من آياته وأنه كاف في الدلالة، قائم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الأنبياء، ولما بعث النبي ﷺ وجاء بالقرآن إلى قومه وكانوا أفصح الناس وتحداهم أن يأتوا بمثله فعجزوا حتى تحداهم بسورة وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **ما مِنَ الأنْبِياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ**

(١) إعجاز القرآن، للباقلاني (٩/ ١).

ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ»[1].

(١) أخرجه البخاري، باب قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم حديث رقم ٧٢٧٤ (٩/ ٩٢). ومسلم- باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته حديث رقم ٧٠ (١/ ١٣٤).

المبحث الأول

مقدمات عن إعجاز القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : مفهوم الإعجاز

أولاً: تعريف الإعجاز والمعجزة لغةً واصطلاحاً

التعريف لغة:

العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء(١).

قال الراغب الاصفهاني: أصل العجز التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخَّره، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة(٢).

وقال ابن منظور: العجز نقيض الحزم(٣)، والمعجزة في اللغة اسم فاعل مشتقة من الفعل الرباعي المهموز أعجز، وهي مَا أَعْجَزَ بِهِ الخصمَ عِنْد التَّحدِّي، والهاءُ لِلْمُبَالَغَة، والجمْع مُعجِزاتٌ.

التعريف اصطلاحاً:

تباين تعريف المعجزة اصطلاحاً عند العلماء وإليك نماذج منها:

١. عرفها جلال الدين السيوطي بقوله: «اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة»(٤).

---

(١) مقاييس اللغة (٢٣٢/ ٤).

(٢) مفردات الراغب (٥٤٧/ ٤).

(٣) لسان العرب (٢٨١٦/ ٤).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (١١٦/ ٢).

٢. وعرفها الإمام عبد القاهر البغداديُّ بقوله: «وحقيقة المعجزة عند المتكلمين : ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوّة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يُتحدى به عن المعارضة»[(١)].

٣. ويقول الشريف الجرجاني: «الإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق. كما قال أيضا: حدّ الإعجاز هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضتهم»[(٢)].

كما يذكر القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) خمسة شروط لا يصح من دونها لحادث أن يسمى معجزة وهي[(٣)]:

١- الحادث ينبغي أن يكون ممّا لا يستطيعه إلا الله.

٢- يجب أن يخرق قوانين الطبيعة.

٣- ينبغي أن ينبئ عنه الحكيم قبل أن يقع.

٤- يجب أن يكون الحادث الواقع موافقا لما قيل.

٥- ألاّ يكون في استطاعة أحد أن يجري مثل هذا الامر.

تعريف مصطلح "إعجاز القرآن":

مصطلح "إعجاز القرآن" مركب إضافي، يقول القاضي عبد الجبار الهمذاني: «معنى قولنا في القرآن أنه معجز؛ أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله، في القدر الذي اختص به»، وقد عرفه العلماء بقولهم: «إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن -وعجز الأجيال بعدهم»[(٤)].

---

(١) أصول الدين، (١٧٠).

(٢) معجم التعريفات (٣٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(١/ ٧٠).

(٤)"مباحث في علوم القرآن"، مناع القطان (٢٥٠).

أما الزرقاني في مناهل العرفان فعرف إعجاز القرآن بقوله: «إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله»[(١)].

وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات التعجيز أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، فإنّ ذلك معلوم لدى كل عاقل، وإنما الغرض هو إظهار أنّ هذا الكتاب حق، وأنّ الرسول الذي جاء به رسول صدق، وهكذا سائر الأنبياء الكرام[(٢)].

ثانياً: ورود الإعجاز والمعجزة في القرآن الكريم:

لم يرد في كتاب الله تعالى مصطلح "الإعجاز" أو لفظة "معجزة"، إلا أن القرآن الكريم استعمل مجموعة من الألفاظ تدل على جزء من معنى الإعجاز والمعجزة الذي يشمل أكثر من معنى جزئيّ واحد؛ وهذا الجزء يقابل كلمة دليل أو حجّة [(٣)]، ومن هذه الألفاظ:

- **الآية:**

قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾. [الأنعام:١٠٩].

- **البرهان:** ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾. [القصص: ٣٢]

- **السلطان:** قال عزّ وجل: ﴿ تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١٠].

- **البيّنة:** قال تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ [الأعراف: ٧٣].

---

(١) مناهل العرفان، للزرقاني (١/ ٧٣).

(٢) "البيان في علوم القرآن" للصابوني (٨٩-٩٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٠١/ ١).

وقد وردت مشتقات هذه المادة في ستة وعشرين موضعاً من القرآن الكريم، على النحو التالي:

اللفظ	عدد المرات	الآيات
أَعَجَزتُ	١	[المائدة:٣١]
نُعجِزُ	١	[الجن:١٢]
نُعجِزَهُ	١	[الجن:١٢]
لِيُعجِزَهُ	١	[فاطر:٤٤]
يُعجِزُونَ	١	[الأنفال:٥٩]
مُعَاجِزِينَ	٣	[الحج:٥١]، [سبأ: ٥]، [سبأ: ٣٨]
بِمُعْجِزٍ	١	[الأحقاف:٣٢]
مُعْجِزِي	٢	[التوبة: ٢]، [التوبة: ٣]
مُعْجِزِينَ	٩	[الأنعام:١٣٤]، [يونس:٥٣]،[هود:٢٠]، [هود:٣٣]، [النحل:٤٦] [النور:٥٧]، [العنكبوت:٢٢]، [الزمر:٥١]،[الشورى: ٣١].

المطلب الثاني : نبذةٌ تاريخيةٌ عن بدءِ التحدث في الإعجاز

لقد بدأ أول حديث عن الإعجاز على يد أبي عبيدة (١١٠-٢٠٩هـ) في كتابه (مجاز القرآن) والفراء المتوفى سنة ٢٠٧هـ في كتابه (معاني القرآن) ولكنّها كانت دراسات لغوية بيانية أكثر منها في الإعجاز، غير أنّ أكثر العلماء يقررون أن أول من تكلّم في الإعجاز هو إبراهيم بن سيّار النّظام المعتزلي المتوفى ٢٢٤هـ شيخ الجاحظ، وبعده عيسى بن صبيح المزدار المتوفى سنة ٢٥٣هـ، والجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وكان من ميزات القرن الثالث كثرة العناية بعلم الكلام، ومن أشهر المتكلمين الذين تناولوا الإعجاز: الواسطي، المتوفى سنة ٣٠٦هـ، والرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ ،

وأحمد بن محمد الخطّابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ، والباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ، ومحمد بن يحيى بن سراقة المتوفى سنة ٤١٠هـ، والشريف المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦هـ، وأبو اسحاق الإسفراييني المتوفى سنة ٤١٨هـ، وابن حزمٍ المتوفى سنة ٤٥٦هـ، والغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، والقاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ[١].

وفي نهاية القرن الرابع ومع وفاة الباقلاني تقريباً أخذت أكثرُ نظريات الإعجاز في علم الكلام شكلها النهائي، وسارت الأعصرُ التاليةُ على غرار الأولى في التأليف وكانت مهمتها جمع ما قاله المتقدمون، ولم تكن مهمة المتكلم فيها وضع براهين جديدة، بل وضع هذه البراهين في صورٍ جديدةٍ، فالماوردي مثلاً يعدّ عشرين دليلاً على الإعجاز وليس فيها جديد.

أما المفسرون، فكان الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، من أوائل المفسرين الذين تكلموا في مسألة الإعجاز، وقد جاء على أثر الطبري من المفسرين الأولين المتحدثين في الإعجاز الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ، والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وابن عطية الغرناطي المتوفى سنة ٥٤٢هـ، وفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، والقرطبي المتوفى ٦٧١هـ، وابن جزي الكلبي الغرناطي المتوفى ٧٤١هـ، وأبو حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ، وبدر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ، وجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، وابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ، وأبو السعود المتوفى سنة٩٨٢هـ، والألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، والطاهر ابن عاشور المتوفى سنة ١٣٩٣هـ[٢].

المطلب الثالث: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

يقول الطاهر بن عاشور: «لم أر غرضاً تناضلت له سهام الأفهام، ولا غاية

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، عبد السلام اللوح (٢٥).

(٢) انظر: علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير، محمد حقي (٣٧٦/ ٢).

تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صبابة نزراً، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن، فإنه لم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل، وموردها للمعلول والناهل، ومغلى سبائها للنديم والواغل»[(١)]، ولذا تجد العلماء من يعدد وجوه الإعجاز إلى عشرة كما فعل القرطبي، وإلى اثني عشر وجهاً عند الزركشي، وقد لخص جلال الدين السيوطي جهود من سبقه في كتابيه (الإتقان في علوم القرآن) و(معترك الاقرن في إعجاز القرآن)، وذكر أنّ بعض العلماء أنهى وجوه الاعجاز إلى ثمانين، وقد رأى بعض العلماء أنّه لا نهاية لوجوه الاعجاز أخذاً برأي السّكاكي في المفتاح حيث قال: «اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة، وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت، ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما»[(٢)].

والغرض هنا الوقوف على طريقة المؤلفين في تحديد أشهر وجوه الإعجاز لإنّ الإعجاز في ذاته لا خلاف فيه، ومن خلال النظر في كتب التفسير وعلوم القرآن نجد أن وجوه الإعجاز تتمثل فيما يلي:

أولاً: وجوه إعجاز القرآن الكريم عند القدماء.

الوجه الأول: هو الإيجاز والبلاغة، حتى اشتملت الألفاظ اليسيرة على المعاني الكثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فجمع في كلمتين، عدد حروفهما عشرة أحرف، معاني كلام كثير[(٣)].

الوجه الثاني: البيان والفصاحة التي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت

(١) التحرير والتنوير(١٠١/ ١).

(٢) معترك الأقران، للسيوطي(٥).

(٣) النكت والعيون، للماوردي (٣٠/ ١).

الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] (١).

يقول القرطبي رحمه الله تعالى: «بلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة»(٢).

الوجه الثالث: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرها (٣)، وسماه الماوردي: «الوصف الذي تنقضي به العادة حتى صار خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه في كلامهم، ومستعملة في نظمهم ونثرهم»(٤).

الوجه الرابع: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب(٥).

الوجه الخامس: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، قال ابن الحصار: «وهذه الثلاثة من النظم، والأسلوب، والجزالة، لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر»(٦).

الوجه السادس: أن قارئه لا يكلّ وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس، وميلاً في القلوب(٧).

الوجه السابع: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمّي ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطّه بيمينه، كإخباره عن قصة أهل

(١) النكت والعيون، للماوردي (٣٠/ ١)، وابن جزي (٢٣/ ١).
(٢) تفسير القرطبي: (٧٧/ ١).
(٣) المصدر السابق (٧٣/ ١).
(٤) النكت والعيون، للماوردي (٣١/ ١).
(٥) انظر: تفسير القرطبي: (٧٣/ ١).
(٦) المصدر السابق (٧٣/ ١).
(٧) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣١/ ١).

الكهف، وشأن موسى مع الخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين وغير ذلك من أخبار الغيب[١].

الوجه الثامن: الإخبار عن المغيبات في المستقبل، وما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه كقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم:٢-٣][٢].

الوجه التاسع: كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد، ولا يشمل عليها كتاب[٣].

الوجه العاشر: الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد الله سبحانه وينقسم إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم، وأخبار مقيده كقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣][٤].

الوجه الحادي عشر: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام، وما أرشد إليه من مكارم الأخلاق[٥].

الوجه الثاني عشر: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر مع كثرتها من آدمي[٦].

الوجه الثالث عشر: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف، قال تعالى ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢][٧].

الوجه الرابع عشر: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكر صفاته

---

(١) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣٢/ ١) وابن عطية: (٥٩/ ١).

(٢) انظر: تفسر القرطبي (٧٤/ ١) ومناهل العرفان (٣٦٧/ ٢).

(٣) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣٢ / ١).

(٤) انظر: تفسير القرطبي: (٧٤ / ١).

(٥) المصدر السابق (٧٥ / ١) وابن جزي: (٢٤ / ١).

(٦) انظر: تفسير القرطبي: (٧٥ / ١).

(٧) المصدر السابق (٧٥ / ١).

وأسمائه وما يجوز عليه وما يستحيل، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وغير ذلك مما يوحي بأنه من لدن عليم خبير، ويرى ابن عطية أن هذا الوجه يكون معجزاً لمن قد آمن بالله وتقررت الشريعة ونبوة محمد ﷺ في نفسه(١).

الوجه الخامس عشر: كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان، محروساً عن التغيير والتبديل على طول الزمان(٢).

الوجه السادس عشر: تيسيره للحفظ(٣).

الوجه السابع عشر: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك عن الإتيان بمثله(٤).

الوجه الثامن عشر: القول بالصرفة والمنع(٥): من قالوا بذلك ذهبوا إلى أن نظم القرآن ليس معجزاً وإنما الصرفة هي المعجزة. وهما فريقان:

الفريق الأول : يرى أن الله عزّ وجلّ سلبهم القدرة على المعارضة.

الفريق الثاني: أن الله تعالى صرف قلوبهم وهممهم مع وجود جميع الإمكانات لديهم للمعارضة، وهؤلاء يعتقدون أنّ نظم القرآن هو المعجز الأعظم، ولكنه ليس الوجه الوحيد للإعجاز ومنها الصرفة، وذهب عدد منهم إلى أنّ الصرفة وجه ضعيف ولكن لا حرج من القول به على سبيل التنَزُّلِ في الجدل.

وقد أثبت العلماء الأفذاذ بالحجة والبرهان خطأ هذا الرأي وخروجه عن الجادة، نذكر منهم الخطابي والباقلاني، والقاضي عبد الجبار، وابن عطية والقرطبي وأبو حيان

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: (٥٩ / ١) وابن جزي (٢٤ / ١) .

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: (٢٤ / ١).

(٣) المصدر السابق (٢٤ / ١).

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: (٢٤ / ١) وتفسير ابن عطية: (٦٠ / ١) .

(٥) انظر: النكت والعيون، للماوردي (٣٣ / ١) وتفسير القرطبي: (٧٥ / ١) وتفسير أبي حيان: (١٧ / ١) وتفسير ابن عطية: (٦٠ / ١).

الأندلسي، والرازي وغيرهم.

ثانياً: وجوه الاعجاز عند المحدثين.

لقد عرف القرن الرابع عشر الهجري –العشرون ميلادي–حركة بحث في موضوع الإعجاز وإبراز وجوهه وألفوا فيه أسفاراً قيّمةً وكان الدافع الرد على تلك الهجمة الشرسة التي قادها المستشرقون وما يحملونه من أفكار وضعية متجلية في مذاهب اجتماعية واقتصادية ورأسمالية واشتراكية مشككة في الدور الايجابي للدين، بل تلفيق التهم والشبهات للقرآن العظيم ولهذا تشكلت عندهم مجموعة من الاتجاهات منها(١):

الاتجاه الاول: أصحاب النزعة العلمية: لقد اهتم هؤلاء بوجوه الإعجاز من الناحية العلمية، وقد كان لهذه النزعة جذور في تاريخ الفكر الإسلامي عند أبي حامد الغزالي والقاضي عياض، وابن رشد والإمام فخر الدين الرازي، وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ولكنها اشتدت في هذه الفترة وهي محاولة للتوفيق بين القرآن والعلم، غير أن هناك منْ بالغ لحدِّ الاسراف وتحميل النص ما لا يحمله وفرقة ثانية التزمت الاعتدال في الطرح ولم يستشهدوا إلا بالمسلم به من المقررات العلمية المتطابقة مع نصوص القرآن.

الاتجاه الثاني: حصروا وجوه الإعجاز في مواضيع رئيسية تندرج تحتها معظم تلك الوجوه، فجعلوها ثلاثة أقسام: الإعجاز اللغوي (البياني)، وهو الذي وقع من جهته التحدي بالقرآن جملةً وتفصيلاً، الإعجاز العلمي، الاعجاز التشريعي التهذيبي الاجتماعي»(٢)، يقول محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم): «لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي

(١) الإعجاز المفهوم والمنهج، عبد القادر جعيد.

(٢) النبأ العظيم، عبد الله دراز (٧٩).

نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات فلعمري أنه في ترتيب آيه على هذا الوجه، لهو معجزة المعجزات»(١).

الاتجاه الثالث أصحاب النزعة الأدبية: يقصر الإعجاز على الجانب البياني من القرآن لأنه الوجه الذي يبرز فيه التحدي، أما ما فيه من حقائق علمية وأخبار الامم السابقة وكل الغيبيات هي دلائل نبوة المصطفى وأنّ هذا الكتاب هو من عند الله عزّ وجلّ، نذكر من هؤلاء مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن).

المطلب الرابع : تدرُّج الإعجاز مع مراحل التحدي

لقد أنكر كفار قريش على سيدنا محمد ﷺ الرسالة واتهموه بالكذب، ونعتوه بالسحر قال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:٢٤] ، ووصفوه بالجنون، وقال قائلهم بأنه شاعر، ولم يكتفوا عند هذا الحد بل تحدّوه على أنهم قادرون على أن يأتوا بمثله لو أرادوا، وجاء الوحي يتحداهم أن يأتوا بكتاب من عند الله قال تعالى:﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [القصص:٤٩] ، فلما لم يستجيبوا تحداهم أن يأتوا بعشرِ سورٍ من مثله، ثم تدّرج معهم إلى سورة قال سبحانه: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

ثم أغلق الباب وأثبت عجزهم في الحاضر وفي المستقبل قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤].

وهكذا دعوى التحدي ظلت قائمة طيلة نزول الوحي وبعده بل هناك من ادعى النبوة بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى كمسيلمة الكذّاب وقد تنبأ بكلام تمجّه الأسماع وترفضه الاذواق، ومنهم أيضاً طليحة الاسدي، وسجاح بنت

(١) النبأ العظيم، عبد الله دراز (٢١١).

الحارث التميمية، وعبهلة بن كعب الملقب بالأسود العنسي الذي تنبأ باليمن، والجميع لم تسعفهم قرائحهم مجاراة القرآن، فسقطت أقنعة المشركين وأبانت زيف ادعائهم.

ولقد اتفق كل منْ كتبوا في الاعجاز على أنّ القرآن معجزة وأنه دليل النبوَّة، وقد نال هذا الشرف دون غيره من الكتب السماوية، لأنَّ نظمها ليس معجزاً وإن كان ما يتضمنه من الأخبار عن الغيوب معجزاً، وليس القرآن كذلك لأنه يشاركها في هذه الدلالة ويزيد عليها في أن نظمه معجز»[(١)].

لقد اختلف العلماء في تحديد وجه الإعجاز كما بينا سابقاً، فمنهم من قصره على الوجه البياني دون سواه، ومنهم من جعله إعجازاً عاماً يشملُ البيانَ وغيرَه، فلا بد أن ندرس آيات التحدي دراسةً منهجيةً موضوعيةً، وهذه الآيات نجدها في سورة الطور وهود ويونس والبقرة والإسراء.

- قال تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٤].
- قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].
- قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].
- قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].
- قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣].

«وتأملاً في هذه الآيات الكريمة نجد أنها رغم اتفاقها في موضوع واحد إلا أن

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (١٤ – ١٥).

هناك فروقاً بينها في أوجه متعددة:

أولاً: فالآيات الأربع تشترك في كونها مكية التنزيل، أما الآية الأخيرة فهي مدنيةٌ دون نزاع، هذا أولاً.

ثانياً: فإننا نجد الآيات الأُول جاءت في سياقٍ واحدٍ وهو خطاب العرب الذين نزل القرآن الكريم فيهم.

أما آية البقرة فلقد كانت في سياق أوسع دائرة ذلك أنها تخاطب الناس جميعاً، ورجوعاً إلى الآيات الكريمة ندرك ذلك إدراكاً لا يتطرق إليه الريب، ويكفي هنا أن نقرأ ما جاء في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾، ولا يستطيع أحدٌ أن يدعي أن العرب وحدهم هم المخاطبون بهذه الآيات الكريمة.

وثمةَ فرقٌ ثالثٌ من حيث الأسلوب، فالآيات الأُول جاءت فيها كلمةُ (مثل) دون حرف (مِنْ)، وجاءت آيةُ البقرة وحدها بهذا الأسلوب ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾، وذلك أن معنى (مِنْ) هنا للتبعيض وأن الضمير راجعٌ للقرآن الكريم، يعني: من مثل هذا القرآن؛ قاله مجاهد وقتادة، واختاره ابن جرير[(١)] أي مما في هذا القرآن الكريم من وجوه الإعجاز.

ومما تقدم ندرك أن مراحل التحدي رغم اتفاقها في موضوع واحد إلا أن المرحلة الأخيرة تختلف عما سبقها من حيث التنزيل والسياق والأسلوب، لذلك فإننا نرى أن التحدي في مراحله الأولى كان بيانياً، فالعرب الذين وُجِّه لهم كان

(١) انظر: تفسير ابن كثير(١/ ١٩٩).

البيان بضاعتهم دون منازعٍ، أما سورة البقرة التي وُجّه الخطابُ فيها للناس جميعاً فإننا نرى أن التحدي فيها كان عاماً لا يقف عند البيان وحده، لذا كانت آيةُ البقرة آخر مراحل التحدي.

فإعجاز القرآن إذن لا يقف عند جمال الأسلوب وروعة البيان وإنما ينتظم فيما ينتظم أموراً كثيرةً»[١].

المطلب الخامس : أهمية مقدمات التفاسير والتعريف بها ونشأتها

أولاً: تعريف المقدمة.

في اللغة: القاف والدال والميم أصل صحيح يدل على سبق ورعف، والمقدِّمة: الناصية، وما استقبل من الجبهة والجبين[٢]، ومقدمة الجيش أوله الذين يتقدمون الجيش، قال ابن منظور: وقيل يجوز بالفتح (مقدَّمة)[٣].

أما في **الاصطلاح:** قال التفتازاني: يقال مقدمة الكتاب لطائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها، وانتفاع بها فيه، سواء توقف عليها أم لا[٤].

وفي الكليات: مقدمة الكتاب: ما يتوقف عليه الشرح على بصيرة[٥].

وقال التهانوي: مقدمة الكتاب طائفة من الألفاظ قدمت أمام المقصود لدلالتها على ما ينفع في تحصيل المقصود، سواء كان مما يتوقف المقصود عليه فيكون مقدمة العلم، أو لا فيكون من معاني مقدمة الكتاب، من غير أن يكون مقدمة العلم[٦].

وحول هذا المعنى تحدث القلقشندي في مقدمة كتابة (صبح الأعشى) فقال:

---

(١) إعجاز القرآن الكريم لفضل عباس (٢٨).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٦٥ / ٥).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٤٦٨ / ١٢).

(٤) المطول على التلخيص للتفتازاني (١٣).

(٥) الكليات لأبي البقاء(٦٣٦).

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١٢١٦/ ٥).

المقدمة للكتاب كالأساس من البنيان، ثم قال: والطريق إلى إصابة المعنى في هذه المقدمات أن تجعل مشتملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض[١].

قال ابن عطية في تفسيره: ولنقدم بين يدي التفسير أشياء قد قدم أكثرها المفسرون، وأشياء ينبغي أن تكون راسخة في حفظ الناظر في هذا العلم مجتمعة لذهنه[٢].

ثانيا: نشأة مقدمات التفاسير.

كان من أوائل من كتب مقدمة بين يدي تفسيره عبد الرزاق الصنعاني المتوفى سنة(٢١١هـ) غير أنه لم يتوسع في مقدمته فقد اكتفى بتقديم جملة من الآثار في بعض المواضيع المتعلقة بنزول القرآن[٣]، ثم تلاه ابن جرير الطبري المتوفى سنة (٣١٠هـ) ثم تبعهما آخرون توسعوا في موضوعات مقدماتهم، وجمعوا أدلة وآثار وناقشوها، كما اهتموا بالتعليق والتعقيب على أقوال من سبقهم من المفسرين، وممن اشتهر بعلم المقدمات أهل المغرب والأندلس فاهتموا بذلك اهتماماً بالغاً، وكان في مقدمتهم ابن عطية والقرطبي وابن جزي وغيرهم.

ثم جاء السيوطي ليضع كتابه الماتع (الإتقان في علوم القرآن) كمقدمة كبيرة، لتفسيره المسمى (مجمع البحرين ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية)[٤]، ولكن الكتاب لسعته وعدم كمال أصله أخذ استقلاليته.

المطلب السادس: أهم كتب التفسير المتضمنة لإعجاز القرآن الكريم

أما المفسرون فيرجع أول ما نعرفه عنهم في الإعجاز إلى نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع، فمما أُلِّفَ في القرن الثالث كتاب ابن جرير الطبري المتوفى سنة

(١) صبح الأعشى للقلقشندي (٢٦٧/ ٥).

(٢) انظر: تفسير ابن عطية (١٢ / ١).

(٣) علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير لمحمد حقي (٢٣ / ١).

(٤) انظر: الإتقان للسيوطي (١٦/ ١).

٣١٠هـ، ويقع هذا الكتاب في ثلاثين مجلداً كبيراً، وكان مثالاً احتذاه المفسرون المتأخرون كلهم.

وقد جاء على أثر الطبري من المفسرين الأولين المتحدثين في الإعجاز الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢هـ، والزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، وابن عطية الغرناطي المتوفى سنة ٥٤٢هـ، وفخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ، وابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠هـ، وأبو السعود المتوفى سنة ٩٨٢هـ، والألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، ومحمد رشيد رضا، وطنطاوي جوهري من المعاصرين.

رقم	المفسر	الكتاب
١.	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)	جامع البيان عن تأويل آي القرآن
٢.	أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)	تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون
٣.	أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)	تفسير الراغب الأصفهاني
٤.	أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)	الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
٥.	أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
٦.	أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)	مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير

٧.	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)	تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن
٨.	أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)	التسهيل لعلوم التنزيل
٩.	أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ).	البحر المحيط في التفسير
١٠.	شمس الدين احمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الحنفي (المتوفى: سنة ٩٤٠هـ)	تفسير ابن كمال باشا
١١.	أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)	تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم
١٢.	شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
١٣.	محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)	محاسن التأويل(تفسير القاسمي)
١٤.	محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)	التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)

المبحث الثاني

نتائج استقراء إعجاز القرآن في مقدمات أشهر كتب التفسير

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: محاور وموضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير.

رقم	الكتاب	موضوعات إعجاز القرآن
١.	جامع البيان عن تأويل آي القرآن	حفظ القرآن، إعجاز الفصاحة والبيان[١].
٢.	تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون	ذكر ثمانية أوجه من وجوه إعجاز القرآن وهي: ١- الإعجاز والبلاغة . ٢-البيان والفصاحة . ٣- الوصف الذي تنقضي به العادة . ٤-قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس، وميلاً إلى القلوب . ٥- ما فيه من الإخبار بما كان مما علموه، أو لم يعلموه . ٦-ما فيه من علم الغيب، والإخبار بما يكون٧-كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها. ٨- الصرفة بنوعيها.
٣.	تفسير الراغب الأصفهاني	معجزات الأنبياء وأنواعها: ١-حسي ٢-عقلي، إعجاز القرآن عل مر العصور.

(١) وقد اقتصر الطبري في مقدمته على الإلماح لموضوع إعجاز القرآن بينما فصل فيه في ثنايا تفسيره.

		ما هو المعجز في القرآن: اللفظ أم المعنى أم النظم أم ثلاثتها: إعجازه بالنظم المخصوص، مراتب النظم، تعريف المعجز وضوابطه، وجوه الإعجاز ١- إعجاز الفصاحة ٢- الصرفة. [١]
٤.	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	وجوه الإعجاز: ١- التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات٢-إن التحدي وقع بما في كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، والغيوب المسرودة٣- الإعجاز بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه وهو الصحيح، بطلان من قال بالصرفة والرد عليهم[٢].
٥.	تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن	-تعريف المعجزة – شروط المعجزة: ١-أَنْ تَكُونَ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ - ٢ - أَنْ تَخْرِقَ الْعَادة ٣-أَنْ يَسْتَشْهِدَ بِهَا مُدَّعِي الرِّسَالَةِ عَلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ - ٤ - أَنْ تَقَعَ عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْمُتَحَدِّي بِهَا - ٥-ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة. -أنواع المعجزات: أولاً :مَا اشْتَهَرَ نَقْلُهُ وَانْقَرَضَ عَصْرُهُ بِمَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَالثَّانِي مَا تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِصِحَّتِهِ وَحُصُولِهِ، وَاسْتَفَاضَتْ بِثُبُوتِهِ وَوُجُودِهِ، بقاء معجزة القرآن على مر العصور وحفظ من التحريف. *وجوه إعجاز القرآن عشرة: ١-النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها ٢- الأسلوب المخالف لجميع

(١) تفسير الراغب (٤٢-٤٥/ ١).

(٢) المحرر الوجيز(٥٢/ ١).

		أساليب العرب ٣-الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال ٤- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي، حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه ٥- الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا ٦- الوفاء بالوعد من الله ٧-الإخبار عن المغيبات في المستقبل ٨-ما تضمنه القرآن من العلم ٩-الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي ١٠-التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف، بطلان القول بالصرفة والرد على من قال بها.
٦.	التسهيل لعلوم التنزيل	وجوه الإعجاز عشرة:١- فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين ٢-نظمه العجيب ٣-عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله ٤-ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة ٥-ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلة ٦-ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله ٧-ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق ٨-كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان ٩-تيسيره للحفظ ١٠- كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد[١]

(١) التسهيل لعلوم التنزيل(٢٦/ ١).

٧.	البحر المحيط في التفسير	وجوه الإعجاز: إعجاز الفصاحة والبلاغة، الصرفة وذكر بطلان القول بها، ذكر نماذج ممن أدرك إعجاز القرآن فأسلم ومن أدركها فكفر وعاند، ذكره للتفاسير
٨.	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	ذكر وجوه الإعجاز: إعجاز في النظم والوزن والأسلوب، إعجاز البلاغة، إعجازه في ذكر المغيبات، إعجازه في كونه غير متناقض ولا مختلف، موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى، إعجازه قدمه، الصرفة، الإعجاز بجملته وبالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب، الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأنه لا يمله تاليه بل يزداد حبا له بالترديد، وكونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه، مناقشة جميع وجوه الإعجاز وذكر أقوال المعترضين والرد عليها ،الذي يراه ويقول به: أن القرآن معجز بالنظر إلى نظمه وبلاغته وإخباره عن الغيب وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى.
٩.	محاسن التأويل (تفسير القاسمي)	وجوه إعجاز القرآن الكريم: الأسلوب البديع، ومنها الإخبار بالقصص والأحكام والملل السابقة، ومنها الإخبار بأحوال مستقبلة، ومنها الدرجة العليا في البلاغة مما ليس مقدوراً للبشر، ومن جملة وجوه الإعجاز ما لا يتيسر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع.
١٠.	التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد	ذكر من ألف في إعجاز القرآن، ومراتبهم في ذلك، وجوه الإعجاز: الصرفة، بُلُوغُ الْقُرْآنِ فِي دَرَجَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ مَبْلَغًا تَعْجِزُ قُدْرَةُ بُلَغَاءِ الْعَرَبِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي يعْتَمِدُهُ وَيسِيرُ عَلَيْهِ.

	مـــــن تفســـــير الكتاب المجيد)	-نَرَى مِلَاكَ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ رَاجِعًا إِلَى ثَلَاثِ جِهَاتٍ: الْجِهَةُ الْأُولَى: بُلُوغُهُ الْغَايَةَ الْقُصْوَى مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغَهُ الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ الْبَلِيغُ مِنْ حُصُولِ كَيْفِيَّاتٍ فِي نَظْمِهِ مُفِيدَةٍ مَعَانِيَ دَقِيقَةً وَنُكَتًا مِنْ أَغْرَاضِ الْخَاصَّةِ مِنْ بُلَغَاءِ الْعَرَبِ مِمَّا لَا يُفِيدُهُ أَصْلُ وَضْعِ اللُّغَةِ، بِحَيْثُ يَكْثُرُ فِيهِ ذَلِكَ كَثْرَةً لَا يُدَانِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْبُلَغَاءِ مِنْ شُعَرَائِهِمْ وَخُطَبَائِهِمْ. الْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: مَا أَبْدَعَهُ الْقُرْآنُ مِنْ أَفَانِينِ التَّصَرُّفِ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَعْهُودًا فِي أَسَالِيبِ الْعَرَبِ، وَلكنه غير خارج عَمَّا تَسْمَحُ بِهِ اللُّغَةُ. الْجِهَةُ الثَّالِثَةُ: مَا أُودِعَ فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْحِكَمِيَّةِ وَالْإِشَارَاتِ إِلَى الْحَقَائِقِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ مِمَّا لَمْ تَبْلُغْ إِلَيْهِ عُقُولُ الْبَشَرِ فِي عَصْرِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَفِي عُصُورٍ بَعْدَهُ مُتَفَاوِتَةٍ، وَهَذِهِ الْجِهَةُ أَغْفَلَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ مِنْ عُلَمَائِنَا مِثْلَ أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ وَالْقَاضِي عِيَاضٍ. -مَا انْطَوَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ مِمَّا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عَلَّامِ الْغُيُوبِ. - مَا أَنْبَأَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ - إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْمُعْجِزَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ عَلَى تَعَاقُبِ السِّنِينَ. - مبتكرات الْقُرْآن: فَمِنْهَا أَنَّهُ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبٍ يُخَالِفُ الشِّعْرَ لَا مُحَالَةَ، وَمِنْهَا أَنْ جَاءَ عَلَى أُسْلُوبِ التَّقْسِيمِ وَالتَّسْوِيرِ، وَمِنْهَا الْأُسْلُوبُ الْقَصَصِيُّ فِي حِكَايَةِ أَحْوَالِ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، ومنها إيجاز القرآن بأنواعه، ومنها الجزالة والرقة. - عادات القرآن - أقسام الإعجاز العلمي.

المطلب الثاني: مقدمات كتب التفسير وما فيها من موضوعات إعجاز القرآن الكريم.

موضوعات إعجاز القرآن الكريم	المفسر
تعريف الإعجاز والمعجزة وشروطها	القرطبي، الراغب الأصفهاني، ابن عاشور
ذكر من ألف في إعجاز القرآن، ومراتبهم في ذلك	ابن عاشور
معجزات الرسول، ومعجزات الأنبياء وأنواعها	القرطبي، الراغب الأصفهاني
ذكر نماذج ممن أدرك إعجاز القرآن فأسلم ومن أدركها فكفر وعاند	أبو حيان
أوجه الإعجاز	الماوردي، وابن عطية، والقرطبي، وابن جزي، وأبو حيان والراغب الأصفهاني والزمخشري والرازي والألوسي وابن عاشور: الماوردي، وابن عطية، والقرطبي ، وابن جزي، وأبو حيان.
وجه: الصرفة والمنع والقول ببطلانها	الماوردي، الراغب الأصفهاني، ابن عطية، الرازي، القرطبي، أبو حيان، الألوسي، ابن عاشور.
وجه: الإعجاز والبلاغة	الماوردي والقرطبي، أبو حيان، الألوسي، القاسمي، ابن عاشور
وجه: البيان والفصاحة	الطبري،الماوردي،ابن جزي، الزمخشري

وجه: النظم البديع ومراتب النظم	الراغـــب الأصـــفهاني، الزمخشـــري، القرطبـي، ابـن جـزي، المـاوردي، ابـن عطية، أبو حيان، الألوسي
وجـــه: الأســـلوب المخـــالف لجميـــع أساليب العرب	القرطبـي، ابـن جـزي، الألـوسي، ابـن عاشور
وجه الجزالة	القرطبي، ابن عاشور
وجه: أن قارئه لا يكلّ وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوة في النفوس	الماوردي، ابن جزي، الألوسي
وجه: الإخبار عن الأمور التي تقدمت	المـاوردي، ابـن عطيـة، القرطبـي، ابـن جزي، ابن عاشور
وجه: الإخبار عن المغيبات في المستقبل	المـاوردي، القرطبـي، الألـوسي، ابـن عاشور
وجه: كونـه جامعـا لعلـوم لم تكـن فـيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها	الماوردي، ابن عاشور
وجه: الوفـاء بالوعـد المـدرك بـالحس في العيان	القرطبي
وجه: ما تضمنه القرآن من العلـم الـذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام، ومـا أرشـد إليـه مـن مكارم الأخلاق	القرطبي، ابن جزي
وجه: الحكـم البالغـة التـي لم تجـر العـادة بأن تصدر مع كثرتها من آدمي	القرطبي، ابن عاشور

وجه: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرا وباطنا من غير اختلاف	القرطبي، الألوسي
وجه: موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى.	الألوسي، ابن عاشور
وجه: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله	ابن عطية، ابن جزي
وجه: كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان	الطبري، القرطبي، ابن جزي، الألوسي.
وجه: تيسير القرآن للحفظ	ابن جزي
وجه: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك عن الإتيان بمثله	ابن جزي، ابن عطية، ابن عاشور

المطلب الثالث: التعليق على الجداول

من خلال النظر في مقدمات كتب التفسير، يظهر أن أغلب مباحث موضوعات إعجاز القرآن فيها ترتكز على موضوعات رئيسية تندرج تحتها عدة مباحث، وهي كالتالي:

أولاً: تعريف المعجزة والإعجاز وشروط المعجزة: كان ممن تناول هذا المحور القرطبي والراغب الأصفهاني وابن عاشور، وانفرد القرطبي بذكر شروط المعجزة حيث يقول: «المعجزة واحدة، معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة:

فالشرط الأول: من شروطها أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه...

والشرط الثاني: هو أن تخرق العادة..

والشرط الثالث: هو أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل.

الشرط الرابع: هو أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له.

والشرط الخامس: من شروط المعجزة ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.

فإن تم الأمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده، فإن أقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبياً، وخرج عن كونه معجزا ولم يدل على صدقه، ولهذا قال المولى سبحانه:" فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين»[(١)].

ثانياً: ذكر من ألف في إعجاز القرآن، ومراتبهم في ذلك: يقول ابن عاشور في مقدمة تفسيره الجامعة[(٢)]: «ولعلك تجد في هذه المقدمة أصولاً ونكتاً أغفلها من تقدموا ممن تكلموا في إعجاز القرآن مثل الباقلاني، والرماني، وعبد القاهر، والخطابي، وعياض، والسكاكي، فكونوا منها بالمرصاد.. ».

ثالثاً: معجزات الرسول، ومعجزات الأنبياء وأنواعها: يقول الراغب الأصفهاني في تفسيره[(٣)]: «المعجزات التي أتى بها الأنبياء - عليهم السلام - ضربان: حسي وعقلي: فالحسي: ما يدرك بالبصر، كناقة صالح، وطوفان نوح، ونار إبراهيم وعصى موسى - عليهم السلام - والعقلي: ما يدرك بالبصيرة، كالإخبار عن الغيب تعريضاً وتصريحاً، والإتيان بحقائق العلوم التي حصلت عن غير تعلم، فأما الحسي: فيشترك في إدراكه العامة والخاصة، وهو أوقع عند طبقات العامة، وأخذ بمجامع قلوبهم، وأسرع لإدراكهم».

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٦٩-٧٢ / ١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠١/ ١).

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني (٤٢ / ١).

أما القرطبي فيرى أن المعجزات على ضربين آخرين فيقول[١]: «إذا ثبت هذا فاعلم أن المعجزات على ضربين:

الأول: ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ.

والثاني ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، واستفاضت بثبوته ووجوده، ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شروطه أن يكون الناقلون له: خلقا كثيراً وجماً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، وهذه صفة نقل القرآن».

رابعاً: ذكر نماذج ممن أدرك إعجاز القرآن فأسلم ومن أدركها فكفر وعاند:

قال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط[٢]: «فمن أدرك إعجازه، فوفق وأسلم بأول سماع سمعه، أبو ذر، رضي الله عنه، قرأ عليه رسول الله ﷺ من أوائل فصلت آيات فأسلم للوقت، وخبره في إسلامه مشهور، وممن أدرك إعجازه وكفر عناداً عتبة بن ربيعة، وكان من عقلاء الكفار، حتى كان يتوهم أمية بن الصلت أنه هو، يعني عتبة يكون النبي المنبعث في قريش ، فلما بعث الله محمداً ﷺ، حسده عتبة وأضرابه، مع علمهم بصدقه، وأن ما جاء به معجز ، وكذلك الوليد بن المغيرة، روي عنه أنه قال لبني مخزوم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو وما يعلى، ومع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد والأشر، حتى قال، ما حكى الله عنه: إن هذا إلا سحر يؤثر، إن هذا إلا قول البشر، وممن لم يدرك إعجازه، أو أدرك وعاند وعارض، مسيلمة الكذاب، أتى بكلمات زعم أنها أوحيت إليه، انتهت

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٢ / ١).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان (١٨/ ١).

في الفهاهة والعي والغثاثة، بحيث صارت هزأة للسامع».

خامساً: الصرفة والمنع وبيان بطلانها: وهي من أكثر موضوعات الإعجاز طروقاً في مقدمات كتب التفسير، وكان ممن تعرض لها في مقدمة تفسيره: الماوردي والراغب الأصفهاني، وابن عطية، والقرطبي، وأبو حيان، والألوسي، وابن عاشور.

يقول ابن عطية: «وبهذا النظر يبطل قول من قال: «إن العرب كان من قدرتها أن تأتي بمثل القرآن فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه»، والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد»[(١)].

ويقول الألوسي في روح المعاني مبينا أوجه الرد على من قال بالصرفة: «واعترض بأربعة أوجه:

الأول: أنه يستلزم أن يكون المعجز الصرفة لا القرآن وهو خلاف ما عليه إجماع المسلمين من قبل.

الثاني: أن التحدي وقع بالقرآن على كل العرب فلو كان الإعجاز بالصرفة لكانت على خلاف المعتاد بالنسبة إلى كل واحد ضرورة تحقق الصرفة بالنسبة إليه فيكون الإتيان بمثل كلام القرآن معتاداً له والمعتاد لكل ليس هو الكلام الفصيح بل خلافه فيلزم أن يكون القرآن كذلك وليس كذلك.

الثالث: أنه يستلزم أن يكون مثل القرآن معتاداً من قبل لتحقق الصرفة من بعد فتجوز المعارضة بما وجد من كلامهم مثل القرآن قبلها.

---

(١) المحرر الوجيز، لابن عطية (٥٢ / ١).

الرابع: وهو خاص بمذهب المرتضى أنه لو كان الإعجاز بفقدهم العلوم لتناطقوا به ولو تناطقوا لشاع إذ العادة جارية بالتحدث بالخوارق فحيث لم يكن دل على فساد الصرفة بهذا الاعتبار.

واستدل بعضهم على فساد القول بها بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ ﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لأنه بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره ولا بأس بانضمامه إلى ما ذكرناه، وأما الاكتفاء به في الاستدلال فلا أظنك ترضاه»[(١)].

سادساً: وجوه الإعجاز: فذكر الماوردي ثمانية أوجه، واكتفى ابن عطية وأبو حيان والراغب الأصفهاني بوجهين من الأوجه الثمانية، واشترك القرطبي وابن جزي في ذكر عشرة أوجه، أما الألوسي فذكر أحد عشر وجهاً وناقشها، واقتصر القاسمي على خمسة أوجه.

يقول الطاهر ابن عاشور: «لم أر غرضا تناضلت له سهام الأفهام، ولا غاية تسابقت إليها جياد الهمم فرجعت دونها حسرى، واقتنعت بما بلغته من صبابة نزرا، مثل الخوض في وجوه إعجاز القرآن، فإنه لم يزل شغل أهل البلاغة الشاغل، وموردها للمعلول والناهل، ومغلى سبائها للنديم والواغل، ولقد سبق أن ألف علم البلاغة مشتملا على نماذج من وجوه إعجازه، والتفرقة بين حقيقته ومجازه، إلا أنه باحث عن كل خصائص الكلام العربي البليغ ليكون معيارا للنقد أو آلة للصنع، ثم ليظهر من جراء ذلك كيف تفوق القرآن على كل كلام بليغ بما توفر فيه من الخصائص التي لا تجتمع في كلام آخر للبلغاء حتى عجز السابقون واللاحقون منهم عن الإتيان بمثله»[(٢)].

---

(١) روح المعاني للألوسي (٢٩-٣٠/ ١).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٠١/ ١).

سابعاً: وجه الإعجاز والبلاغة: وهو أول وجه يورده المفسرون غالباً في بيان وجوه إعجاز القرآن، وقد ذكر هذا الوجه من وجوه الإعجاز كلاً من: الماوردي والقرطبي، وأبو حيان، والألوسي، وابن عاشور.

يقول الماوردي: «فأما إعجاز القرآن الذي عجزت به العرب عن الإتيان بمثله، فقد اختلف العلماء فيه على ثمانية أوجه: أحدها: أن وجه إعجازه، هو الإعجاز والبلاغة، حتى يشتمل يسير لفظه على كثير المعاني، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فجمع في كلمتين، عدد حروفهما عشرة أحرف، معاني كلام كثير..».

ثامناً: وجه البيان والفصاحة: أي فصاحة وبيان القرآن التي امتاز بها عن كلام المخلوقين وقد ألمح إلى هذا الوجه الطبري، وذكره صريحا كلاً من: الماوردي، ابن جزي.

يقول الطبري في مقدمة تفسيره: «فلا شك أن أعلى منازل البيان درجةً، وأسنى مراتبه مرتبةً، أبلغُه في حاجة المُبِين عن نفسه، وأبينُه عن مراد قائله، وأقربُه من فهم سامعه ، فإن تجاوز ذلك المقدار، وارتفع عن وُسْع الأنام، وعجز عن أن يأتي بمثله جميعُ العباد، كان حجةً وعَلَماً لرسل الواحد القهار -كما كان حجةً وعَلَماً لها إحياءُ الموتى وإبراءُ الأبرص وذوي العمى، بارتفاع ذلك عن مقادير أعلى منازل طبّ المتطببين وأرفع مراتب عِلاج المعالجين، إلى ما يعجز عنه جميع العالَمِين»[(١)].

تاسعاً: النظم البديع ومراتب النظم: وقد تناول هذا الوجه من وجوه الإعجاز كلاً من: الراغب الأصفهاني، والقرطبي، وابن جزي، والماوردي، وابن عطية، وأبو حيان، والألوسي.

يقول القرطبي[(٢)]: «من وجوه الإعجاز: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها، لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء».

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري (٩/ ١).

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٣/ ١).

يقول الراغب الأصفهاني في مقدمة تفسيره[١]: «فإذا ثبت أن الإعجاز المختص بالقرآن متعلق بالنظم المخصوص، وبيان كونه معجزاً هو أن نبين نظم الكلام، ثم نبين أن هذا النظم مخالف لنظم سائره، فنقول: لتأليف الكلام خمس مراتب:

الأولى: ضم حروف التهجي بعضها إلى بعض، حتى يتركب منها الكلمات الثلاث: الاسم والفعل والحرف.

والثانية: أن يؤلف بعض ذلك مع بعض حتى يتركب منها لجمل المفيدة، وهي النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم، وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور من الكلام.

والثالثة: أن يضم بعض ذلك إلى بعض ضماً له مبادئ ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له المنظوم.

والرابعة: أن يجعل له في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له: المسجع.

الخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن مخصوص، ويقال له الشعر.

وبالحق صار كذلك: فإن الكلام إما منثور فقط، أو مع النثر نظم، أو مع النظم سجع، أو مع السجع وزن، والمنظوم: إما محاورة، ويقال لها: الخطابة، وإما مكاتبة، ويقال لها: الرسالة، وأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الجملة، ولكن من ذلك نظم مخصوص، والقرآن حاو لمحاسن جميعه بنظم ليس هو نظم شيء منها بدلالة أنه لا يصح أن يقال: القرآن رسالة، أو خطابة، أو شعر، كما يصح أن يقال: هو كلام، ومن قرع سمعه فصل بينه وبين سائر النظم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]».

عاشراً: وجه الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب: وقد ذكر هذا الوجه كلاً من: الطبري والقرطبي، وابن جزي، والألوسي، والقاسمي، وابن عاشور.

(١) تفسير الراغب الأصفهاني (٤٥/ ١).

يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير[1]: «فمنها أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة، وقد نبه عليه العلماء المتقدمون، وأنا أضم إلى ذلك أن أسلوبه يخالف أسلوب الخطابة بعض المخالفة، بل جاء بطريقة كتاب يقصد حفظه وتلاوته، وذلك من وجوه إعجازه إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع لطرائقها القديمة في الكلام».

الحادي عشر: جزالة ألفاظ القرآن: وقد أورد هذا الوجه كلاً من القرطبي وابن عاشور، يقول القرطبي: «منها: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، وتأمل ذلك في سورة ق، قال تعالى: ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى آخر السورة، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة. قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره ، لا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ولا أن يقول: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣].

الثاني عشر: وجه: أن قارئه لا يكلّ وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوة في النفوس: ذكر هذا الوجه كلاً من الماوردي، وابن جزي، والألوسي.

يقول الماوردي في مقدمة تفسيره النكت والعيون[2]:«والرابع: أن وجه إعجازه، هو أن قارئه لا يكل، وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوةً في النفوس، وميلاً إلى القلوب، وغيره من الكلام، وإن كان مستحسن النظم مستعذب النثر، يمل إذا أعيد ويستثقل إذا ردد».

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢٠/ ١).

(٢) النكت والعيون للماوردي (٣٢/ ١).

الثالث عشر: وجه إخبار القرآن عن الأمور التي تقدمت: وقد جعله أحد أوجه الإعجاز كلاً من: الماوردي، وابن عطية، والقرطبي، وابن جزي، والقاسمي، وابن عاشور.

يقول القرطبي(١): «الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت تزوله من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحدوه به من قصص أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين، فجاءهم وهو أمي من أمة أمية، ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته، فتحققوا صدقه ، قال القاضي ابن الطيب: ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفاً أنه لم يكن ملابساً لأهل الآثار، وحملة، الأخبار، والا متردداً إلى المتعلم منهم، ولا كان منن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه، علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي».

الرابع عشر: وجه الإخبار عن المغيبات في المستقبل: أورد هذا الوجه من وجوه الإعجاز كلاً من: الماوردي، القرطبي، الألوسي، والقاسمي، وابن عاشور.

يقول القرطبي(٢): الإخبار عن المغيبات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك: ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] الآية، ففعل ذلك ، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه، ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجح،

(١) انظر : تفسير القرطبي (٧٤/ ١).

(٢) المصدر السابق (٧٥ / ١).

وكان عمر يفعل ذلك: فلم يزل الفتح يتوالى شرقاً وغرباً، براً وبحراً، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور:٥٥]، وقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، أو من أوقفه عليها رب العالمين».

ويقول ابن عاشور[(١)]: «وقد عد كثير من العلماء من وجوه إعجاز القرآن ما يعد جهة رابعة هي ما انطوى عليه من الأخبار عن المغيبات مما دل على أنه منزل من علام الغيوب».

الخامس عشر: كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها: وقد أورد هذا الوجه: الماوردي وابن عاشور، يقول الماوردي[(٢)]: «والسابع: أن وجه إعجازه، هو كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد، ولا يشتمل عليها كتاب وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وقال النبي ﷺ: «**فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم هو الحق ليس بالهزل من طلب الهدى من غيره ضل**» وهذا لا يكون إلا عند الله الذي أحاط بكل شيء علماً».

السادس عشر: وجه: الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان: يقول القرطبي[(٣)]: «ومن وجوه الإعجاز الوفاء بالوعد، المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد الله

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور(١٠٥/ ١).

(٢) النكت والعيون، للماوردي (٣٢/ ١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي(٧٤/ ١).

سبحانه، وينقسم: إلى أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، وإلى مقيد بشرط، كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ».

السابع عشر: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام، وما أرشد إليه من مكارم الأخلاق: وقد ذكر هذا الوجه القرطبي، وابن جزي، يقول ابن جزي[١]: «ومن وجوه إعجازه ما شرع فيه من الأحكام وبين من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم».

الثامن عشر: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر مع كثرتها من آدمي[٢]: وقد ذكره كلاً من القرطبي، ابن عاشور.

التاسع عشر: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف: وقد أورد هذا الوجه كلاً من القرطبي، الألوسي، يقول الألوسي: «وجه الإعجاز عدم التناقض والاختلاف مع الطول والامتداد»[٣]، ويقول القرطبي: «ومنها التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف: قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

العشرون: وجه موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى: أورد هذا الوجه كلاً من الألوسي، ابن عاشور.

يقول الألوسي في مقدمة روح المعاني[٤]: «وأما إعجاز موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى فلأنه اشتمل على توحيد الله تعالى وتنزيهه والدعاء إلى طاعته وبيان

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢٦/ ١).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧٥/ ١).
(٣) المصدر السابق (٧٥/ ١).
(٤) روح المعاني، للألوسي (٣٣/ ١).

طرق عبادته من تحليل وتحريم ووعظ وتعليم وأمر بمعروف ونهي عن منكر وإشارة إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى أولى منه ولا أليق ولا يتصور أحرى من ذاك ولا أخلق جامعاً بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه وامتثال ما أمر به واجتناب ما نهي عنه».

الحادي والعشرون: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله: وقد ذكر هذا الوجه ابن عطية، وابن جزي، يقول ابن جزي[(١)]: «ومن وجوه إعجازه: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله ، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه ، وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة، والحجج الواضحة، والردّ على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه، بل بوحي من العليم الخبير، ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم».

الثاني والعشرون: كونه محفوظا من الزيادة والنقصان: وقد ذكر هذا الوجه كلاً من الطبري، القرطبي، ابن جزي، الألوسي.

الثالث والعشرون: وجه: تيسير القرآن للحفظ[(٢)]: وذلك معلوم بالمعاينة ذكره ابن جزي.

الرابع والعشرون: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك عن الإتيان بمثله: وقد ذكره كلاً من: ابن جزي، وابن عطية، وابن عاشور.

الخامس والعشرون: ما لا يتيسر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع:

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (٢٦/ ١).

(٢) المصدر السابق.

يقول القاسمي في مقدمة تفسيره[١]: «من جملة وجوه الإعجاز ما لا يتيسر فهمه لغير المتدبرين في أسرار الشرائع.

وذلك أن العلوم الخمسة نفسها، تدل على أن القرآن نازل من عند الله لهداية بني آدم، كما أن عالم الطب إذا نظر في القانون ولا حظ تحقيقه وتدقيقه في بيان أسباب الأمراض وعلاماتها، ووصف الأدوية -لا يشك أن المؤلف كامل في صناعة الطب، كذلك إذا علم عالم أسرار الشرائع ما ينبغي إلقاؤه على أفراد الناس في تهذيب النفوس، ثم يتأمل في الفنون الخمسة- يتحقق أن هذه الفنون قد وقعت موقعها بوجه لا يتصور أحسن منه، والنور يدل نفسه على نفسه».

المطلب الرابع: الموازنة بين موضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير.

أهم موضوعات إعجاز القرآن التي أشار إليها المفسرون في مقدماتهم	- تعريف المعجزة والإعجاز - الصرفة والمنع وبيان بطلانها - وجوه الإعجاز، وأهمها - وجه الإعجاز والبلاغة - وجه البيان والفصاحة - النظم البديع للقرآن - الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب - إخبار القرآن عن الأمور التي تقدمت والمغيبات التي ستحصل في المستقبل.

(١) محاسن التأويل، للقاسمي (١٧٨/ ١).

	- كـون القـرآن محفوظـاً مـن الزيـادة والنقصان.
الموضوع المشترك بين جميع المفسرين بلا استثناء	وجوه إعجاز القرآن، إلا أنهم تباينوا في ذكر هذه الوجوه.
الموضوع المذكور عند غالبيتهم	الصرفة وبيان بطلانها
الموضوعات التي زادها المتأخرون على المتقدمين	- وجـه موافقـة القـرآن لقضـية العقـل ودقيق المعنى. - مـا لا يتيسر فهمـه لغـير المتـدبرين في أسرار الشرائع
خصائص مقـدمات التفسـير فـيما يتعلـق بإعجاز القرآن	١-الإشارة إلى من سبق في هذا الفن. ٢-التنبيـه عـلى تعـدد وجـوه الإعجـاز وذكر نماذج من هذه الوجوه. ٣-الاعتنـاء بـالرد عـلى الوجـوه الباطلـة للإعجاز. ٤-التفصـيل في وجـوه فصـاحة وبلاغـة القرآن وبديع نظمه.

الخاتمة

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره أن من عليّ بإتمام هذا البحث القرآني وأسأله سبحانه أن ينفع به ويكتب له القبول.

هذا وإن الناظر في جهود المفسرين في بيان إعجاز القرآن ووجوهه في مقدمات تفاسيرهم يجدها حاضرة بشكل بارز، وهم يتفاوتون في التفصيل فيها ويتباينون في ذكر وجوهها ومسائلها، وهذه المرور السريع في جزء يسير من إرث الأمة في هذا العلم لا يمكن بحال أن يكون قد أحاط بجوانب هذا العلم وحصره على سبيل الاستقصاء، مما يستلزم من الباحثين مواصلة المسير وبذل الجهد في هذ الميدان.

وبدراسة تحليلية لمقدمات أشهر كتب التفسير يمكن أن نلخص نتائج البحث بما يلي:

١- إن مقدمات التفاسير اشتملت على مادة علمية قيمة، وقد احتوت آراء المفسرين في كثير من المسائل والموضوعات وهي آراء من الأهمية بمكان، ورغم ذلك لم تأخذ حظها من البحث والدراسة كما ينبغي.

٢- المفسرون الذين تناولوا موضوع الإعجاز في مقدماتهم هم: الطبري والماوردي والراغب الأصفهاني وابن عطية الأندلسي والقرطبي وابن جزي وأبو حيان والألوسي والقاسمي وابن عاشور.

٣- تباينت طرائق المفسرين في تناول إعجاز القرآن الكريم وذكر موضوعاته فمستقل ومستكثر، وبعضهم انتقى موضوعات مخصوصة فصل فيها.

٤- استفاد المتأخرون ممن سبقهم في ذكر وجوه الإعجاز وأثروها وزادوا عليها.

٥- بدأت الإشارة إلى موضوع إعجاز القرآن الكريم في القرن الثالث الهجري في مقدمات كتب التفسير ثم أصبحت تفرد بمصنفات مستقلة.

٦- من أكثر موضوعات إعجاز القرآن لدى المفسرين هي ذكر وجوه إعجاز القرآن، فذكر الماوردي ثمانية أوجه، واكتفى ابن عطية وأبو حيان والراغب الأصفهاني بوجهين من الأوجه الثمانية، واشترك القرطبي وابن جزي في ذكر عشرة أوجه، أما الألوسي فذكر أحد عشر وجهاً وناقشها، واقتصر ذكر القاسمي على خمسة أوجه.

٧- يتناول كثير من المفسرين قضية الصرفة والمنع ويناقشها ويبين بطلانها من وجوه.

٨- يغلب على مقدمات المفسرين عند التطرق لقضية الإعجاز بيان أنها قضية تعددت فيها الآراء وكثرت فيها الأوجه ثم يبين كل مفسر ما يقدمه منها.

٩- من أكثر المفسرين تفصيلاً في وجوه إعجاز القرآن هو الإمام القرطبي في مقدمة تفسيره، ومن أنفسها مقدمة التحرير والتنوير لابن عاشور، وقد كتب في إعجاز القرآن عند كل منهما رسالة ماجستير مستقلة.

١٠- مناقشة معنى الإعجاز والمعجزة وبيان شروطها لدى بعض المفسرين جعل بعض وجوه الإعجاز التي أوردها المفسرون تخرج عن هذا المعنى ولا يستقيم إدراجها ضمن وجوه الإعجاز.

١١- من أهم موضوعات إعجاز القرآن التي تناولتها مقدمات المفسرين: تعريف المعجزة والإعجاز، الصرفة والمنع وبيان بطلانها، وجوه الإعجاز، ومن أهمها: وجه الإعجاز والبلاغة، وجه البيان والفصاحة، النظم البديع للقرآن الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب، إخبار القرآن عن الأمور التي تقدمت والمغيبات التي ستحصل في المستقبل، كون القرآن محفوظاً من الزيادة والنقصان.

وغيرها من النتائج التي لا يعدم الناظر في هذا البحث من الوقوف عليها.

التوصية:

نوصي بأن تولى مقدمات المفسرين مزيد أهمية ودراسة لدى الباحثين، وأن يتم التقعيد لمفهوم إعجاز القرآن الكريم ووجوهه بالاعتماد على مقدمات المفسرين لبيان وتحديد ما يسمى اليوم بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

أن تُفرد بحوث علمية ماجستير ودكتوراه حول الاعجاز في قصص القرآن من خلال حياة الأنبياء.

والله الموفق

فهرس المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ٤.

٢. **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، عبد السلام حمدان اللوح، رسالة ماجستير نوقشت سنة ١٩٨٦م، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية بغزة، مكتبة آفاق.

٣. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى:٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، ط:٢، ١٤١٢هـ.

٥. **إعجاز القرآن**، المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

٦. **إعجاز القرآن**، حسن فضل عباس، سناء فضل عباس، دار النفائس، الطبعة الثامنة، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٧. **أصول الدين**، المؤلف. عبد القاهر بن طاهر البغدادي، عدد الأجزاء: ١ الطبعة الأولى، لبنان. المحقق: أحمد شمس الدين.

٨. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى:١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٩. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى:٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط:٢، ١٤١٨هـ.

١٠. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى:٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ط:١٤٢٠هـ.

١١. **البيان في مباحث من علوم القرآن**، عبد الوهاب عبد المجيد غزلان، عدد الأجزاء: ١، الطبعة الأولى ، مطبعة دار التأليف.

١٢. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٣. **التحرير والتنوير**، الإمام الشيخ: محمد الطاهر، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

١٤. **التعريفات**، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: ١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٥. **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط:١، ١٤٣٠هـ.

١٦. **تفسير القرآن**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط:١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٧. **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، ط:٣، ١٤١٩هـ.

١٨. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى:٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩. **تفسير الراغب الأصفهاني**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، جزء١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب-جامعة طنطا، الطبعة الأولى:١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

٢٠. **التفسير المظهري**، المظهري، محمد ثناء الله، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢هـ.

٢١. **التوقيف على مهمات التعاريف**، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ط:١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٢. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:١٣٧٦ه)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٣. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى:٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٤. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٥. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٢٦. **حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)**، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

٢٧. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت.

٢٨. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ١٥ .

٢٩. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٠. **علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير** من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري، محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥-٢٠٠٤، عدد المجلدات: ٢.

٣١. **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣٢. **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٤هـ.

٣٣. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٣٤. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط:٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٥. **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط:١، ١٩٩٦م.

٣٦. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط:١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٧. **لسان العرب، محمد بن مكرم بن على**، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ.

٣٨. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

٣٩. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط:١، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.

٤٠. **مباحث في علوم القرآن**، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

٤١. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ.

٤٢. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:١، ١٤٢٢هـ.

٤٣. **مختار الصحاح**، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط:٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٤٤. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط:١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٤٥. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط:١ ، ١٤٢٠هـ.

٤٦. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٧. **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/ أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار)، دار الدعوة.

٤٨. **معجم التعريفات**، المؤلف: علي بن محمد السيد الشريف الجرحاني، المحقق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، عدد المجلدات: ١.

٤٩. **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٣.

٥٠. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:٣، ١٤٢٠هـ.

٥١. **المفردات في غريب القرآن**: المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ.

٥٢. **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم**، المؤلف : محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)، اعتنى به : أحمد مصطفى فضلية، الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع، الطبعة : طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥٣. **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى:٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

٥٤. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي(المتوفى:٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، ط:١، ١٤١٥ هـ.

٥٥. **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، د. ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	٢٠٣
المقدمة	٢٠٤
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٢٠٤
الدراسات السابقة حول الموضوع	٢٠٥
خطة البحث	٢٠٥
بين يدي البحث	٢٠٧
المبحث الأول : مقدمات عن إعجاز القرآن الكريم	
المطلب الأول : مفهوم الإعجاز	٢٠٩
المطلب الثاني : نبذةٌ تاريخيةٌ عن بدءِ التحدث في الإعجاز	٢١٢
المطلب الثالث: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم	٢١٣
المطلب الرابع : تدرُّج الإعجاز مع مراحل التحدي	٢١٩
المطلب الخامس: أهمية مقدمات التفاسير والتعريف بها ونشأتها	٢٢٢
المطلب السادس: أهم كتب التفسير المتضمنة لإعجاز القرآن الكريم	٢٢٣
المبحث الثاني : نتائج استقراء إعجاز القرآن في مقدمات أشهر كتب التفسير	
المطلب الأول: محاور وموضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير	٢٢٦
المطلب الثاني: مقدمات كتب التفسير وما فيها من موضوعات إعجاز القرآن الكريم	٢٣١
المطلب الثالث: التعليق على الجداول	٢٣٣
المطلب الرابع: الموازنة بين موضوعات إعجاز القرآن الكريم في مقدمات كتب التفسير	٢٤٥
الخاتمة	٢٤٧
فهرس المصادر والمراجع	٢٥٠
فهرس الموضوعات	٢٥٦